آيات الرشد في القرآن الكريم: دراسة موضوعية

د. محمد محمود محمد الدومي *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٦/٩/٢٨م
تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٧/٢/٢٨م

ملخص

تناولت الدراسة موضوع الرشد في القرآن الكريم من خلال جمع آياته من جميع سور القرآن ودراستها دراسة تحليلية وموضوعية، وتوصلت إلى أن الرشد لا يكون إلا مع الإيمان والصلاح في أمور الدين والدنيا، وأن القرآن يأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها في الدنيا والآخرة، وأن رشد المؤمنين يظهر سلوكاً إيجابياً في أفعالهم وأقوالهم بما يكشف عن استقرار الإيمان في قلوبهم، ولهذا وصف القرآن الأنبياء والمؤمنين من الإنس والجن بالرشد ونفاه عن الكافرين، كما رجح الباحث أن (الرُّشْد) بالضم يستعمل في أمور الدنيا والآخرة في حين أن (الرَّشَد) بالفتح يغلب عليه استعماله في أمور الآخرة فقط.

Abstract

This study deals with the subject of "Al-Rushd" (Right guidance in the Holy Quran). I have reached a conclusion that "Al-Rushd" cannot be without faith and righteousness in both religion and worldly affairs and that the Quran leads the Muslim Ummah to goodness in this life and the Hereafter. The goodness of the believers will therefore positively effect the "Al-Rushd" in their sayings and actions. This shows that the faith is strong in their hearts. Therefore, the Quran describes the Prophets and the believers (both Human Beings and the Jin), "Rashideen" and the non-believers are not described as "Rashideen".

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد بل يتجدد في كل حين وعصر، وقد عني الناس في زماننا بما يسمى بالتفسير الموضوعي(١) لما فيه من حلول للمشكلات المعاصرة؛ وهو لون من ألوان تفسير القرآن الكريم يقوم على خدمة كتاب الله تعالى وبيان أحكامه من خلال جمع الآيات الكريمة في الموضوع الواحد من جميع القرآن ثم تفسيرها وبيان معانيها للوصول إلى حكم القرآن وموقفه من المسألة المطروحة للبحث، أو من خلال بيان الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، فتكون بعض السورة القرآنية عالجت موضوعاً معيناً وفق هذا اللون من التفسير، وبعضها عالجت أكثر من موضوع لكننا نجد بين تلك الموضوعات ارتباطاً وثيقاً.

ويتسم التفسير الموضوعي إلى حد كبير بالدقة في بيان حكم القرآن في المسألة قيد البحث ذلك لأننا نقف عند جميع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، مع مراعاة سياق وترتيب الآيات لذا فهي دراسة شاملة ودقيقة للموضوعات القرآنية، وقد اخترت موضوع الرشد في القرآن الكريم ليكون مادة هذا البحث وهو من الموضوعات المهمة لأن الرشد صفة يحتاجها الفرد والمجتمع، وما أصاب الأمة الآن بل البشرية كلها من تخبط وتشتت إنما سببه بعدها عن الرشد فعمت الفوضى وفشا الفساد ولا مخرج لها مما هي فيه إلا بعودتها إلى رشدها.

أما عملي في هذا البحث فقد جمعت الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في جميع القرآن الكريم، ثم

---

* محاضر متفرغ، قسم أصول الدين، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت.

رتبتها بحيث قدمت الآيات المكية على المدنية، ثم رجعت إلى معجمات اللغة العربية لبيان معنى الرشد لغة ،والى كتب الفقه لبيان معناه اصطلاحاً، والى كتب التفسير لبيان معناه عند المفسرين، ومن خلال هذا البحث وقفت على حقيقة من وصفهم القرآن بالرشد من الناس، إذ الرشد لا يكون إلا مع الإيمان بالله تعالى وصلاح الشأن، وأن رشد المؤمن يظهر سلوكاً ايجابياً في أقواله وأفعاله في أمور الدين والدنيا بما يكشف عن صلابة إيمانه واستقراره في قلبه ولهذا وصف الرسول ﷺ الخلفاء الراشدين بهذا الوصف، وأن الكافر لا يصح أن يوصف بالرشد مهما بلغ من علوم المادة والدنيا لأنه لو كان راشداً لقاده رشده إلى الإيمان بالله تعالى ولهذا نفى القرآن الرشد عن الكافرين ولم يصفهم به مع ادعاء بعضهم له.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مباحث ثلاثة مسبوقة بمقدمة ومتبوعة بخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول : معنى الرشد في اللغة وفي الاصطلاح والاستعمال القرآني.
المبحث الثاني : الراشدون في القرآن الكريم.
المبحث الثالث : أثر الرشد في حياة المؤمنين.
الخاتمة : أثبت فيها الباحث أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول:

معنى الرشد في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني سنقف في هذا المبحث مع معنى الرشد في لغة العرب، وفي اصطلاح الفقهاء، وفي الاستعمال القرآني:

المطلب الأول: معنى كلمة الرشد في اللغة

استعمل العرب مصطلح الرشد في كلامهم قبل نزول القرآن وللوقوف على معناه عندهم نورد ما جاء في المعجمات اللغوية.

قال ابن فارس: "الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق، فالمراشد: مقاصد الطرق، والرُّشْد والرَّشَد خلاف الغي "(٢)، والغي عند العلمــاء؛ جهل من اعتقاد فاسد(٣).

وقال ابن منظور: "في أسماء الله تعالى الرشيد(٤)؛ هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها، وهو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد.. والرُّشْد والرَّشَد والرَّشَاد؛ نقيض الغي، ورَشَد الإنسان يَرْشُد رُشْدًا بالضم، ورَشِد بالكسر يَرْشَد رَشَدًا ورَشَاداً فهو راشِد ورَشِيد؛ نقيض الضلال(٥)، ورَشَد الرجل إذا أصاب وجه الأمر والطريق... وفي الحديث: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)(٦)، والراشد اسم فاعل من رَشَد يرشُد، وأرشَدَه إلى الأمر؛ هداه، والإرشَاد؛ الهداية والدلالة"(٧).

وقال الراغب: "الرُّشْد والرَّشَد خلاف الغي، يستعمل استعمال الهداية، قال تعالى:﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً﴾[النساء: ٦] وقال:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾[الأنبياء: ٥١] وبين الرشدين؛ أعني الرشد المؤنس من اليتيم والرشد الذي أوتي إبراهيم عليه السلام بون بعيد، وقال بعضهم: الرَّشَد أخص من الرُّشْد، فإن الرُّشْد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَد يقال في الأمور الأخروية لا غير"(٨).

وأضاف الزمخشري: "رجل راشد إذا أصاب وجه الأمر، والرُّشْد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط، والرُّشْد؛ الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة"(٩)، وكان الفراهيدي قد أشار إلى هذا المعنى في كتابه العين(١٠).

نستنتج مما سبق أن الرشد في لغة العرب يدور معناه حول الاستقامة والدلالة والصلاح الذي هو نقيض الغي والضلال، ويكون المرء راشداً مهتدياً في نفسه اذا اتبع طريق الحق والسداد فأصاب وجه الأمر، ومرشداً لغيره يدله على طريق الخير والنفع في الدارين، وأن الاستقامة على طريق الحق تقود إلى صلاح الشأن كله.

المطلب الثاني: الرشد في اصطلاح الفقهاء

الرشد عند جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والحنابلة): هو صلاح المال ولو كان فاسقاً، أي توفر الخبرة في إدارة المال واستثماره وحفظه وإصلاحه، وحسن التصرف فيه وتمييز النافع من الضار، فالرشيد لا ينفق ماله في غير مصلحة، ولا يضيعه بالتبذير والإسراف، لقوله تعالى: ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾[٦: النساء]. قال ابن عباس: يعني صلاحاً في أموالهم، فمن كان مصلحاً لماله فقد وجد منه الرشد(١١).

وقال الحسن والشافعي وابن المنذر (الرشد): صلاحه في دينه وماله لأن الفاسق غير رشيد ولأن إفساده لدينه يمنع الثقة به في حفظ ماله، فإصلاح الدين ألا يرتكب من المعاصي ما يسقط به العدالة؛ من فعل كبيرة أو إصرار على صغيرة، وإصلاح المال أن يكون حافظاً لماله غير مبذر بأن يضيع المال بغبن فاحش في المعاملة، أو رميه في البحر، أو إنفاقه في محرم(١٢).

فالسفيه غير الراشد لا يدفع له ماله حتى لو وصل إلى سن البلوغ، وهذا ملحظ اقتصادي مهم وخطير يجب على المسلمين أن يتنبهوا له في كل زمان، فالرشد يقتضي أن نحافظ على مقدرات الأمة وأموالها فلا ندع السفيه أو الصغير يبددها هنا وهناك مما يسبب مشكلات اقتصادية للأمة والمجتمع نحن في غنى عنها، فالسفيه غير الراشد يحجر عليه ولا يسمح له بالتصرف في ماله إلا إذا ثبت شرعاً أنه صار راشداً.

المطلب الثالث: الرشد في الاستعمال القرآني:

ورد مصطلح الرشد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة بصيغ عدة، في ست سور مكية وثلاث سور مدنية.

الرشد في السور المكية:

لقد غلب على الرشد في السور المكية مجيئه مع قصص السابقين من الأمم، قال الله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[١٤٦: الأعراف]، وقال تعالى:﴿**وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾[٧٨: هود]، وقال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[٨٧: هود]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**﴾[٩٦-٩٧: هود]، وقال تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾[١٠: الكهف]، وقال تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً**﴾[١٧: الكهف]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**﴾[٢٣-٢٤: الكهف]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[٦٦: الكهف]، وقال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ**﴾[٥١: الأنبياء]، وقال تعالى:﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[٢٩: غافر]، وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[٣٨: غافر]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾[١- ٢: الجن]، وقال تعالى:﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً**﴾[١٠: الجن]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ**

وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾[١٤: الجن]، وقال تعالى:﴿**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً**﴾[٢١: الجن].

الرشد في السور المدنية:

أما الرشد في السور المدنية فقد غلب على آياته توجيه خير الأمم للاتصاف والتحلي به، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[١٨٦: البقرة]، وقال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢٥٦: البقرة]، وقال تعالى: ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً**﴾[٦: النساء]، وقال تعالى:﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾[٧: الحجرات].

وفي نظرة عامة لآيات الرشد في القرآن الكريم نلحظ أن الآيات المكية جلها إن لم يكن كلها جاءت في القصص الذي يهدي إلى عقيدة التوحيد ودحض عقيدة الشرك ونبذ فرية الكفر، وهو ما يتفق مع خصائص المكي عموماً، وأن القرآن الكريم كتاب يهدي إلى الرشد، ومن آمن به من الإنس والجن فأولئك تحروا رشداً.

كما نلحظ أن آيات الرشد التي جاءت في السور المدنية تتفق مع خصائص الوحي المدني فيما يتعلق بالأحكام والشرائع وزيادة الإيمان، وفيها دعوة للأمة الإسلامية أنها إذا استجابت لربها وآمنت به فإنها ترشد وتهتدي لمصالح دينها ودنياها وذلك في كل وقت، وفي زماننا تمر أمتنا بأزمة عاصفة نتيجة عدم استجابتها الكاملة لأمر الله تعالى فغاب عنها رشدها.

وعند تتبعنا لمادة (رَشَد) في القرآن الكريم وجدنا أن الرشد في القرآن الكريم جاء بعدة معان حسب سياق الآيات الكريمة .

أولاً: الرشد بمعنى الإيمان والتوحيد.

جاء الرشد في القرآن بمعنى الإيمان، من ذلك قول الله تعالى:﴿**قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٢٥٦: البقرة]. قال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: "قد تبين الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة"(١٣) فالرشد هنا بمعنى الإيمان والغي بمعنى الكفر(١٤)، وقال الرازي: "أي تميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة"(١٥)، وقال الشوكاني: "الرشد هنا الإيمان، والغي الكفر، أي تميز أحدهما من الآخر"(١٦).

وقد يكون من هذا القبيل أيضا قوله تعالى على لسان الجن في سورتهم: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾[١-٢: الجن]. قال الزمخشري: "يهدي إلى الرشد: يدعو إلى الحق والصواب، وقيل إلى التوحيد والإيمان"(١٧)، وقال القرطبي: "يهدي إلى مراشد الأمور، وقيل إلى معرفة الله تعالى"(١٨).

الذي يرجح أن يكون معنى الرشد هنا هو الإيمان والتوحيد سياق الآيات الكريمة وما قاله الجن بعد هذه الآية مباشرة وهو قوله تعالى: ﴿**فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً**﴾[٢-٣: الجن]، فسياق الآيات يتحدث عن توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشريك، فدل ذلك على أن المراد بالرشد هنا هو التوحيد والإيمان.

ومما جاء في السنة النبوية المطهرة من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: (بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله) (١٩) فقد جاء الرشد في هذا الحديث

في مقابلة الغي الذي هو الكفر.

ثانيا: الرشد بمعنى الهداية والاستقامة.

جل ما جاء في القرآن الكريم من هذا النوع، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١٨٦: البقرة]. قال القرطبي في تفسيرها: "الرشاد الهدى والاستقامة"(٢٠)، وقال البرهان البقاعي: "أي ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد والاهتداء إلى الطريق الحق"(٢١) وقال الآلوسي: "أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم"(٢٢).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾[١٧: الكهف]. قال الآلوسي:"(من يهدي الله)، من يدله سبحانه دلالة موصولة إلى الحق.. ومن يضلل فلن تجد له وليا وناصرا يهديه إلى الحق ويخلصه من الضلالة"(٢٣).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾[١٠: الكهف]. قال الزمخشري: "هيئ لنا رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله، فيكون المعنى: يسر لنا كل سبب موصل إلى الهداية والرشد"(٢٤).

ومن ذلك قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾[١٤: الجن] قال الفراء في تفسيرها: "تحروا رشدا: أمّوا الهدى واتبعوه"(٢٥).

ثالثا: الرشد بمعنى الخير والنفع:

من ذلك قول الله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[١٠: الجن] قال الزمخشري: "أي خيرا"(٢٦) وكذلك قال كل من القرطبي والآلوسي وغيرهما(٢٧)، وواضح معنى الخير في تفسير كلمة (رشدا) لأنها ذكرت في مقابلة الشر ومعلوم أن الذي يقابل الشر هو الخير.

ولعله من هذا المعنى أيضاً ما جاء في السنة النبوية عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ علم أباه كلمتين يدعو بهما: (اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي)(٢٨) فالرشد هنا بمعنى الخير والسداد لأنه استعاذ بعد ذلك من شر النفس.

وأما مجيء الرشد في الاستعمال القرآني بمعنى النفع فكان ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً﴾[٢١: الجن] أي لا يملك ضرا ولا نفعا لأن النفع يقابل الضر، ذكر ذلك علماء التفسير (٢٩).

رابعا: الرشد بمعنى الحق والسداد والصواب.

من ذلك ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٣٨: غافر]. أي أهدكم طريق الحق والسداد والصواب(٣٠).

ومنه أيضا قول الله تعالى على لسان فرعون مخاطبا قومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢٩: غافر]، فهو يقصد طريق الحق والسداد من وجهة نظره وبمقياسه الإلحادي، لكن القرآن نفى السداد والرشد عن أمر فرعون فقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[٩٧: هود] أي أمر فرعون ليس بسديد ولا صواب(٣١).

خامسا: الرشد بمعنى حسن التصرف في الأمور:

من ذلك قوله تعالى: ﴿لُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [٦: النساء] في سياق الحديث عن حفظ مال اليتيم وإصلاحه وتدبيره ومن ثم دفعه إليه عندما يلمس الولي ويتبين له حسن التصرف في المال وحفظه عند هذا اليتيم.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث يزيد بن هرمز، قال كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقضي يتمه؟ فكان الجواب: (أنه إذا بلغ النكاح وأُونس منه رشدٌ ودفع إليه ماله، فقد انقضى يتمه)(٣٢).

هذه خمسة معان للرشد أفدناها من سياق آيات القرآن الكريم، تتوافق مع أصل الاستعمال اللغوي للرشد وهو الاستقامة والاهتداء إلى طريق الخير في أمور الدين والدنيـــا، ويجمعها كلها إصابة وجه الأمر

وأنها في الإيجاب في جميع استعمالاتها ومعانيها.

المبحث الثاني

الراشدون في القرآن الكريم

استعمل الرشد في القرآن بصيغه المتعددة مع الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله تعالى وسلامه ووصفهم به، كما وصف به المؤمنين الموحدين من الإنس والجن، ونفاه الله تعالى في القرآن عن الكافرين والمشركين، وفيما يلي بيان ذلك

المطلب الأول: رشد الأنبياء والمرسلين

تحدث القرآن عن رشد الأنبياء عليهم السلام في قصصهم مع أقوامهم بما يكشف عن حقيقة اتصافهم بهذا الوصف، أو بتوجيههم لطلب الرشد من الله تعالى وغير ذلك:

أولاً: رشد إبراهيم عليه السلام:

البداية في القرآن كانت مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ**﴾[٥١: الأنبياء]. وصف الله تعالى هنا إبراهيم عليه السلام بالرشد بل أضافه إليه بقوله (رشده) وفي ذلك دلالة على أن الرشد المراد في هذه الآية هو الرشد اللائق به وبأمثاله من أولي العزم من الرسل عليهم السلام، رشد بحسب حاله وعلو مرتبته(٣٣)، ولهذا فهم بعض المفسرين ان المراد بالرشد في هذه الآيه النبوة(٣٤) ولكن الذي عليه أكثر أهل التفسير أن الرشد هنا بمعنى الهداية وإصابة الحق والخير فيعم وجوه الصلاح بأسرها في الدين والدنيا(٣٥).

وقد تجلى هذا الرشد في حياة إبراهيم عليه السلام عندما أنكر عبادة قومه للأصنام والحجارة فقال: ﴿**يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٧٩: الأنعام] وقد حاج قومه وجادلهم حتى بلغ بهم ما قاله الله تعالى عنهم:﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٦٤: الأنبياء]. كما تجلى هذا الرشد أيضا مع النمرود الذي حاجه إبراهيم عليه السلام وبلغ به أن قال الله تعالى فيه: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٢٥٨: البقرة]. وغير ذلك من المواقف المبينة لهذا الرشد الخاص في حياته عليه السلام.

ثانياً: رشد موسى عليه السلام:

جاء استعمال الرشد مع موسى عليه السلام على هيئة الذي يطلب علما يقوده إلى الرشد وهو إصابة الخير والصلاح، قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[٦٦: الكهف]، فموسى عليه السلام في هذه الآية يطلب من العبد الصالح أن يعلمه مما علمه الله علما يقوده إلى الرشد وإصابة الخير، ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ومن أولي العزم أن يتعلم من غيره سواء أكان نبيا أم لا، ما لم يكن من أبواب الشريعة التي بعث بها ولا ينافي ذلك منصب الرسالة(٣٦)، وقد راعى موسى عليه السلام في ذلك غاية التواضع والأدب، وفي ذلك ترغيب للعلماء أن يتعلموا ما لم يعلموا إلى اللحد ولا نبالغ إن قلنا إن العلم المفضي إلى الرشد يكون بعد أن يبلغ المرء منزلة متقدمة في العلم.

ثالثاً: رشد خاتم المرسلين محمد ﷺ:

قال الله تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**﴾[٢٣-٢٤: الكهف].

سبب نزول هذه الآيات أن قريشا بعثت تسأل اليهود عن أمر النبي ﷺ وهل هو صادق في نبوته وادعائه؟ فقال لهم اليهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول

ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فجاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا.. فسألوه عما أمروهم به فقال لهم الرسول ﷺ أخبركم غدا عما سألتم عنه، ولم يستثن فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل ﵇، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه، حتى أحزن النبي ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل ﵇ من الله تعالى بسورة الكهف فيها إجابتهم(٣٧).

في هاتين الآيتين توجيه من الله تعالى لنبيه فيما إذا عزم على فعل شيء في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله ﷿ وأن يطلب منه سبحانه أن يهديه لما فيه الرشد والصواب واثبات نبوته، ومعنى قوله تعالى: ﴿**لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**﴾[٢٣-٢٤: الكهف]، أي لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل إرشادا ودلالة على نبوتي، وقد فعل ﷿ ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة(٣٨).

ونستطيع القول على سبيل المثال: إن سورة مريم التالية في ترتيب المصحف لسورة الكهف مباشرة ذكرت من قصص الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وأحوالهم وأخبارهم ما يرشد ويدل بما لا يقبل الشك على صدق نبوة محمد ﷺ مثل أخبار حمل ومولد عيسى ﵇ من غير أب، وحمل زوجة زكريا العاقر بيحيى بعد أن بلغا من الكبر عتيا، وغيرها من القصص الهادي إلى مصدر القرآن الكريم، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في سورة الكهف نفسها في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾[٥٤: الكهف].

رابعاً وخامساً: رشد لوط وشعيب عليهما السلام:

وقد أخرت الكلام عن هذين النبيين مع أن حقه التقديم لأن استعمال الرشد مع لوط ﵇ كان بنفيه عن قومه بسبب إصرارهم على فعل الفواحش وإتيانهم الرجال دون النساء قال تعالى:﴿**وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾[٧٨: هود].

وأما استعمال الرشد مع شعيب ﵇ فكان من كلام قومه له ﵇، قال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[٨٧: هود]. قال الزمخشري: "قصدوا بقولهم (أصلاتك تأمرك) السخرية والهزء، وبقولهم (إنك لأنت الحليم الرشيد) نسبته إلى غاية السفه والغي، فعكسوا ليتهكموا به"(٣٩).

يريد الزمخشرى-رحمه الله تعالى- أنهم وصفوه بالحلم والرشد تهكما لأنهم ما أرادوا وصفه ﵇ بهذين الوصفين بل أرادوا ضد معناهما، كما في قول خزنة جهنم لأبي جهل: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[٤٩: الدخان] على سبيل التهكم والسخرية(٤٠).

ولكن المرجح في قصة شعيب مع قومه أنهم وصفوه بالحلم والرشد حقيقة لأنه ﵇ كان موصوفا عندهم بهذين الوصفين، كما كان نبينا ﵇ موصوفا بالصادق الأمين عند قومه قبل الإسلام، ولأن الكلام عليه نظير ما مر في قصة صالح ﵇ من قولهم: ﴿**قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾[٦٢: هود]، وتعقيبه بمثل ما عقب به هناك حسبما تضمنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[٨٨: هود] فسياق الآيات يدل على أنهم وصفوه

بالحلم والرشد حقيقة لا تهكماً(٤١).

المطلب الثاني: رشد المؤمنين الموحدين:

استعمل القرآن الرشد مع المؤمنين الموحدين من الإنس من الأمم السابقة وأمة النبي محمد ﷺ كما استعمل أيضا مع المؤمنين من الجن.

أولاً: رشد المؤمنين الموحدين من الأمم السابقة.

١- رشد أصحاب الكهف، قال الله تعالى: **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾**[١٠: الكهف]، فالآية تتناول الحديث عن فتية آمنوا بربهم وزادهم الله تعالى من فضله هداية وإيمانا، وفروا بدينهم من قومهم فلجأوا إلى الكهف الوارد ذكره في الآية الكريمة ضارعين إلى الله تعالى أن يرحمهم ويوفقهم إلى إصابة طريق الحق والصواب الموصل إلى رضاه سبحانه وتعالى، والتمسك بالإيمان هو عين الرشد والسداد(٤٢).

٢- رشد مؤمن آل فرعون قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[٣٨: غافر].

لقد تجلى رشد هذا الرجل عندما اختار الإيمان بالله تعالى وحده ولكنه لم يظهر هذا الإيمان خوفا على نفسه من بطش فرعون وزبانيته من جهة، ولمؤازرة نبي الله موسى ﵇ في الخفاء من جهة أخرى، وتبين الآيات الكريمة موقفه وما قاله لفرعون وملئه: **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾**[٢٨: غافر]. بعد ذلك تأخذ فرعون العزة بالإثم فيقول: **﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[٢٩: غافر]. ولكن هذا الرجل المؤمن لا يفقد الأمل في ردع قومه عن قتل موسى ﵇ فأخذ يحذرهم من عاقبة ما يريدون فعله ويذكرهم بمصارع الأقوام السابقين: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾**[٣٠: غافر]، مختتما دعوته وتحذيره لهم بالتعريض بما عليه الطاغية فرعون: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[٣٨: غافر].

ولما أيقن أنهم عازمون على قتل موسى وكل محاولاته معهم لم تجد نفعا ذهب ليحذر موسى من بطشهم: **﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**[٢٠: القصص]، ولعمري ليس بعد هذا الرشد ولا قبله إلا رشد الأنبياء عليهم السلام.

ثانياً: رشد المؤمنين من خير الأمم امة نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾**[١٨٦: البقرة].

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾** [٦-٧: الحجرات].

هذه الآيات استنهاض لهمم الصحابة ومن جاء بعدهم من المؤمنين كي يكونوا من الراشدين الذين يسترشدون بهدي رسولهم محمد ﷺ الذي جعل الله تعالى طاعته كطاعته:**﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾**[٨٠: النساء]، وحذر من مخالفته: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٦٣: النور] لأن طاعة الرسول هي السداد والرشاد ولو انعكس الأمر كما أراد ويريد البعض لأصاب المسلمين العنت والمشقة والهلاك؛ ومعنى العنت الوارد ذكره في الآية في لغة العرب الكسر بعد الجبر، فالرسول ﷺ جاء ليجبر الكسر الذي كان عليه الناس من الكفر.

وقد جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الحاجة: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا)(٤٣).

والمسلمون بالرسول ﷺ استقام معوجهم وصلح فساد أمرهم فلو أنهم أنزلوه على رأيهم ولم يطيعوا أمره لعادوا إلى الاعوجاج بعد الاستقامة والى الفساد بعد الصلاح والى الكسر بعد الجبر، ولا يكتمل رشد خير الأمم إلا بالإيمان الخالص والامتثال الكامل بما جاء به النبي ﷺ متوجا بالدعاء والضراعة إلى الله تعالى، والإيمان جاء في آية الحجرات والدعاء جاء في آية البقرة.

ثالثاً: رشد المؤمنين الموحدين من الجن:

من المعلوم أن الجن مخاطبون بدعوة الإسلام كالإنس تماماً، ومنهم من قبل هذه الدعوة فآمن ومنهم من كفر، قال تعالى على لسان مؤمني الجن في سورتهم: **﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾**[١٤: الجن].

هذه الآية تقرير من الجن عن أنفسهم بأن منهم مسلمين، وظالمين لأنفسهم غير مسلمين، وكذلك منهم الصالح وغير الصالح قال تعالى: **﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾**[١١: الجن].

والتعبير بلفظ (تحروا) في وصف المسلمين منهم في الآية: **﴿فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾**[١٤: الجن] يوحي بأنّ الاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشد والهداية في مقابل الغي والضلال، ومعناه تحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبين ووضوح، وليس هو خبط عشواء ولا انسياقا بغير إدراك، ومعناه أنهم وصلوا حقيقة إلى الرشد والسداد حين اختاروا الإسلام(٤٤).

المطلب الثالث: نفي الرشد عن الكافرين:

نفى الله تعالى الرشد عن الكافرين في أكثر من موضع في كتابه العزيز قال تعالى متحدثا عن لوط ﵇ وقومه: **﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾**[٧٨: هود]. فسيدنا لوط ﵇ يتساءل منكراً على قومه ألا يكون بينهم رجل رشيد يحسن التصرف في الأمور، ولا يجد بينهم ذلك الرجل الرشيد.

كما نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله: **﴿فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾**[٩٧: هود] والمعنى أن أمر فرعون ليس بسديد ولا صواب لأنه خالف الرشد والسداد في تدبير أمور حكمه وشؤون قومه بسبب كفره وعتوه ولهذا نفى الله تعالى الرشد عنه.

وكان فرعون قد ادعى الرشد في قوله تعالى: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾**[٢٩:غافر] فكان الرد الإلهي:**﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾** [٩٧: هود].

وكذلك لما وصف فرعون نبي الله موسى ﵇ بالفساد في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾**[٢٦: غافر] جاء الرد الإلهي بأن وَسَمَه الله تعالى بسِمَة الفساد ردا على دعواه وتسجيلا عليه أنه المفسد الحقيقي فقال تعالى:**﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٤: القصص].

إن الكفر يطمس على قلب صاحبه فيرى الأشياء على غير حقيقتها بل يراها معكوسة تماما، وقد يتغلغل الشر والفساد في قلبه حتى يضيق بالطهر والخير، ومن ذلك قول قوم لوط: **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾**[٥٦: النمل]، ولذلك نفى الله تعالى الرشد عن قوم لوط على لسان نبيهم ﵇ في قوله تعالى: **﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾**[٧٨: هود].

من هنا نستنتج أن الرشد لا يكون إلا مع الموحدين المؤمنين بالله تعالى، لأن الرشد هو الاهتداء إلى السداد والصواب والى الصراط المستقيم وغني عن القول أن الصراط المستقيم هو الإيمان بالله تعالى وحده، ومن اتصف بالرشد لابد أن يكون مؤمناً موحداً بل لا يوصف بالرشد من كان فاسقاً إذ لا بد من ظهور الصلاح مع الإيمان كما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث.

ولقائل أن يقول قد علمنا مما سبق أن الرشد هو حسن التصرف في الأمور الدينية والدنيوية، فكيف ينفى الرشد عن الكافرين مع أننا نرى غير المسلمين يحسنون التصرف في أمورهم الدنيوية ويتقدمون كثيرا على المسلمين في صناعتهم وزراعتهم وتجارتهم وأكثر شأنهم؟.

يجاب على ذلك أن هذا التفوق العلمي والمادي الذي حققه غير المسلمين قد أساؤوا التصرف فيه وتمادوا في استعماله وما ذلك إلا بسبب غياب الرشد وانعدامه عندهم، فتراهم يقتلون أنفسهم بل يهددون البشرية كلها بالفناء بما حققوه من تفوق علمي وصناعي، وليس أدل على ذلك من الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرها من الحروب التي شنها الكفار على بعضهم بعضا في النصف الأول من القرن العشرين وذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر في بضع سنين(٤٥)، ولم تسلم الطبيعة بما فيها من حيوان ونبات وهواء من اعتداءاتهم وسبب ذلك انعدام الإيمان وزوال الرشد بانعدامه.

وإذا انتقلنا إلى عمق التاريخ لوجدنا سوء حال الكافرين بسبب انعدام الرشد والإيمان، فأي رشد بل أي عقل في قولهم: ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾[٥٦: النمل]، وأين الرشد في استعجال مشركي العرب للعذاب(٤٦) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٣٢: الأنفال].

بل كان هذا شأن جميع الأمم السابقة في استعجال العذاب والهلاك، يقول تعالى مخبرا عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[٣٢: هود] وكذلك قال قوم هود عليه السلام: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[٢٢: الأحقاف] وكذلك قال قوم صالح عليه السلام: ﴿**فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٧٧: الأعراف] وكذلك فعل غيرهم من الأقوام السابقة وما ذلك إلا بسبب غياب الرشد وانعدامه.

المبحث الثالث

أثر الرشد في حياة المؤمنين

المطلب الأول: الرشد بين أمور الدين والدنيا:

سبقت الإشارة عند الحديث عن المعنى اللغوي عن الفرق بين الرَّشَد والرُّشْد بالفتح والضم، وقد وردت الصيغتان في القرآن الكريم كما قرىء بهما في قوله تعالى:﴿**مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[٦٦: الكهف] في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، قال الداني: "قرأ أبو عمرو بن العلاء (رَشَدًا) بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون (رُشْدًا) بضم الراء وإسكان الشين"(٤٧).

وفي قوله تعالى: ﴿**سَبِيلَ الرُّشْدِ**﴾[١٤٦: الأعراف] حيث قرأ حمزة والكسائي: ﴿**سَبِيلَ الرُّشْدِ**﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين(٤٨)، وقد ذهب بعض أهل التفسير والقراءات إلى عدم التفريق بينهما وأنهما لغتان كالسُقْم والسقَم، والحُزْن والحَزَن(٤٩).

ومن العلماء من فرق بين القراءتين منهم الراغب الأصفهاني حيث نقل قول بعضهم: "إن الرُّشْد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرَّشَد بالفتح يقال في الأمور الأخروية أو الدينية لا غير"(٥٠).

ونقل السمين الحلبي في العمدة قول أبي عمرو ابن العلاء: "الرُّشْد بالضم الصلاح وبالفتح الدين، ومن ثم أجمعوا على ضم ﴿**فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً**﴾ [٤: النساء]، وفتحوا ﴿**فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً**﴾ [١٤: الجن] (٥١).

من الواضح أنه رحمه الله يريد بالصلاح إصلاح المال وشؤون الدنيا لأنه ذكر ما يقابله وهو الدين، وممن أيد هذا الرأي أيضاً وذهب إليه من علماء اللغة والتفسير والقراءات أبو علي الفارسي في كتابه الحجة للقراء السبعة(٥٢).

وإذا رجعنا إلى آي القرآن الكريم نتلمس هذا الفرق فإننا نجده في بعضها ولكن ليس على الإطلاق، ومن المعلوم أنه إذا أمكن حمل الكلمتين على معنيين أولى من حملهما على لغتين لمعنى واحد، لذا أرى أنه من الممكن أن نأخذ به ولكن من غير أن نحمل النص أو السياق ما لا يحتمل، فمثلا في قول الله تعالى على لسان الفتية أصحاب الكهف:﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾[١٠: الكهف].

هذه الآية في أمور الدين والآخرة فهي تتحدث عن أصحاب الكهف وهم فتية آمنوا بربهم وفروا بدينهم من بطش قومهم يريدون الآخرة، وقد شهد الله تعالى لهم بذلك فقال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[١٣: الكهف]. ولا يتوقع بل لا يقبل العقل أن يكونوا قد خرجوا من ديارهم وأهلهم وأموالهم فارين بدينهم ثم يطلبوا من الله تعالى أن يهيئ لهم أمرا دنيوياً مادياً..

وفي قوله تعالى على لسان الجن:﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً**﴾[١٤: الجن]، هذه الآية تصف الذين أسلموا وآمنوا من الجن بالرشد في مقابل الذين استمروا على غيهم وكفرهم، والإسلام هو الدين عينه فالآية في أمور الدين لا الدنيا.

وفي قوله تعالى:﴿**وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**﴾[٢٤: الكهف]. فالآية خطاب لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ترشده إلى أن يطلب من الله تعالى من الآيات على صدق نبوته أكثر دلالة مما جاء في سورة الكهف من خبر أصحاب الكهف، والسورة كلها جاءت في سوق الدلائل والآيات على صدق رسالة محمد ﷺ لما جاء المشركون بدفع من أهل الكتاب ليختبروا نبوته كما مر بيانه في الصفحات القليلة السابقة، ومما لاشك فيه أن الرسالة جزء من أمور الدين لا الدنيا بل هي من أركان عقيدة الإسلام.

أما ما يتعلق بإصلاح شؤون الدنيا فيظهر في قوله تعالى:﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً**﴾[٦: النساء].

يفهم من سياق الآيات أن المقصود بالرشد في هذه الآيه هو إصلاح وتدبير شؤون المال والقدرة على الحفاظ عليه، قال ابن عباس في بيان معنى الرشد في هذه الآيه: "رشداً؛ الصلاح في العقل والحفظ للمال"(٥٣) وقال سعيد بن جبير: "يعني صلاحا في دينهم وحفظا لأموالهم"(٥٤).

وفي قوله هذا ملحظ دقيق فقد جمع رحمه الله تعالى الصلاح في الدين إلى جانب إصلاح المال، لأن الصلاح في الدين ضروري لحفظ المال وإصلاحه، وقال الرازي في تفسيرها: "أن يعلم أنه مصلح لماله حتى لا يقع منه إسراف ولا يكون بحيث يقدر الغير على خديعته... وهذا الرشد لا يتحقق إلا مع الصلاح في الدين"(٥٥).

وقد ذهب غالب علماء التفسير إلى إضافة الصلاح في الدين إلى القدرة العقلية الهادية إلى ضبط الأموال وحفظها وحسن التصرف فيها، وهذا لا ينافي أن تكون الآية في أمور الدنيا وما يؤيد هذا سياق الآيات، فقد جاء في الآية السابقة لهذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾[٥: النساء]، ثم قال بعدها:﴿**فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ..**﴾[٦: النساء] فالآية الأولى

تتحدث عن السفهاء بشكل عام سواء أكانوا صغارا أم كبارا، والسفه ضده الرشد، وكذلك الغي ضده الرشد، لكن الغي يكون ضد الرشد من جهة الدين على الأشهر، قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[٩٤: الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٩١: الشعراء] وقال الراغب: "الغي جهل من اعتقاد فاسد"(٥٦) وقال ابن حجر: "الغي ضد الرشد؛ وهو الانهماك في غير الطاعة"(٥٧).

والسفه يكون ضد الرشد من جهة العقل على الأشهر، واستعمل في نقصان العقل(٥٨)، ولما كان الحديث في هذه الآية يدور حول حفظ أموال الأيتام جاء الرشد في الأمور الدنيوية، وفي هذا الشأن ذهب جمهور فقهاء المذاهب الأربعة إلى أن اليتيم لا يسلم له ماله بمجرد بلوغه بل لا بد من إيناس الرشد عنده باختباره، والرشد عند الفقهاء هو الصلاح في ماله ودينه، وفي مسألة صلاح دينه ذهب عامة الفقهاء إلى أنه إذا فسق في دينه فسقاً لا يضيع المال كالشح وعدم إخراج الزكاة وترك الصلاة ونحو ذلك فإنه لا يحجر عليه بسبب ذلك، أما الفسق الذي يترتب عليه التبذير وضياع المال كالزنا والمقامرة ونحو ذلك فإنه يوجب الحجر لأنه تبذير وإهلاك للمال(٥٩)، ولكي لا يماطل الأولياء الأيتام في دفع أموالهم إليهم بعد رشدهم كان اختيار (آنستم) في الآية الكريمة دون علمتم للإشارة إلى أنه إن حصل أول العلم برشدهم يدفع إليهم مالهم دون تراخ ولا مطل(٦٠).

المطلب الثاني: صلابة إيمان الراشدين:

ذكر ابن منظور في لسانه: "أن العرب كانت تقول للحجر الذي يملأ الكف الرشادة وجمعها الرشاد"(٦١)، وقال الزمخشري: "والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة"(٦٢).

يظهر هذا المعنى في استعمالات القرآن للرشد في أمور الدين والآخرة، لأن الصلابة تفيد معنى الثبات وأمور الدين والعقيدة ثابتة راسخة لا تتبدل ولا تتغير، فهي أمور مستقرة صلبة لا يغيرها عدل عادل ولا جور جائر، كما أن الإيمان بها يجب أن يكون صلبا ثابتا ولا يترنح يميل حيث مالت الريح كما يحدث مع غير الراشدين، وقد وصف الله تعالى عباده بالرشد بعد أن آمنوا واستقر الإيمان في قلوبهم كما هو حال مؤمن آل فرعون وأصحاب الكهف والمؤمنين من الجن وغيرهم، ولم يصف به كافرا بل نفاه عنهم كما علمنا من قبل.

وفي شأن مؤمني هذه الأمة قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾**[٦-٧: الحجرات]. لما استقر الإيمان في قلوبهم نتج عنه استقامة على طريق الحق مع ثبات واستقرار نابع من إيمان راسخ في القلوب، قال البرهان البقاعي في تفسير ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾: "أي الكاملون في الرشد، وهو الهدى على أحسن سمت وتقدير، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخرة، والذي أنتج الرشاد متابعة الحق، فإن الله تكفل لمن تعمد الخير وجاهد على البر بإصابة الصواب وإحكام المساعي المنافي للذم"(٦٣).

ولا يخفى هذا المعنى في واقع الناس وحياتهم فالرشد لا يكون رشداً بمعنى الكلمة إلا إذا كان ديدناً وسجية لصاحبه وذلك مرتبط بالإيمان والاستقامة، لأن الإيمان إذا استوطن في القلوب لابد أن تظهر نتائجه وثمراته على الجوارح على شكل التزام بما أمر الله تعالى وانتهاء عما نهى عنه، يرافق هذا حسن تصرف في المواقف التي تعرض للراشد في جميع شؤون حياته مالية وغير مالية، لأن المرء إذا أحسن التصرف في شؤون حياته المالية مستشعراً مراقبة الله تعالى له في كل صغيرة وكبيرة كان في غيرها أحسن، ولا

يكون ذلك عارضا في حياته بل يكون الرشد له سجية وخلقاً وذلك معنى الصلابة والرشاد.

ومما يدل على ما ذهبت إليه حديث رسول الله ﷺ موجها أصحابه وأمته من بعدهم بقوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)(٦٤) وفي حديث آخر قال ﷺ: (إن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا.. قالها ثلاثاً)(٦٥).

ونعتقد أن خير هذه الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ صاحبه الأخص، ورفيقه في الهجرة والغار، وخليفته بعد وفاته أبو بكر الصديق ﵁، ثم بعده الفاروق الذي فرق بين الحق والباطل أبو حفص عمر بن الخطاب ﵁، الذي أعز الله به الإسلام وأظهر الدين، ثم بعده ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان ﵁، الذي جمع القرآن وأظهر العدل والإحسان، ثم ابن عم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﵁، فهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

فصلابة رشد أبي بكر﵁ ظهرت في حياته كلها حتى شهد الجميع له بذلك ونزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٢١: الليل]، فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق﵁ تكريماً ووعداً، بل حكى بعضهم الإجماع من المفسرين على ذلك(٦٦)، ثم تجلت صلابة هذا الرشد في قتاله المرتدين وحمايته لدعوة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ.

وأما الفاروق عمر ﵁ فيكفيه في الدلالة على صلابة رشده وإيمانه قول الرسول ﷺ له: (والذي نفسي بيده ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً سواه) يقوله لعمر(٦٧).

وأما عثمان بن عفان ﵁ فتكفيه شهادة رسول الله ﷺ لما قدم ماله وما يملك في سبيل الله: (ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض)(٦٨)، وقال ﷺ في علي بن أبي طالب ﵁ رابع الخلفاء الراشدين: (من كنت مولاه فعلي مولاه)(٦٩).

وتجدر الإشارة إلى أن رشد الخلفاء كان مبنياً على ما تعلموه في مدرسة النبوة، وتجلى ذلك الرشد في مواجهتم لما لاقوه من فتن وقلاقل بعد وفاة النبي ﷺ، لهذه الأسباب ولغيرها وصف الرسول ﷺ الخلفاء من بعده بالراشدين ثم دعا الأمة كلها إلى اقتفاء أثرهم والسير على نهجهم وسنتهم لما اتصفوا بصفة الرشد وكان ذلك ظاهراً في جميع شؤون حياتهم.

الخاتمة

كشفت الدراسة جملة من الحقائق والنتائج أجملها في النقاط التالية:

أولاً: يعرض القرآن قضية الرشد في السور المكية والمدنية ويدعو الناس إليه، وكان مجيئه في السور المكية أكثر لارتباطه بالحق والهداية والتوحيد، ولذا تكرر مجيئه في قصص السابقين، أما مجيئه في السور المدنية فكان دعوة للأمة الإسلامية أن تلتزم الرشد في جميع شؤونها، وما تعانيه الأمة في زماننا هو بسبب ابتعادها عن دينها ورشدها.

ثانياً: جاء الرشد في القرآن الكريم بعدة معان منها أنه جاء بمعنى الإيمان والتوحيد، وبمعنى الحق والصواب، والاستقامة، والهداية، والنفع والخير، والمحافظة على المال وحسن التصرف في شؤون الدنيا، والسياق يبين المراد بالرشد في كل آية.

ثالثاً: أطلق القرآن الرشد على الأنبياء والرسل ووصفهم به، كما وصف المؤمنين من الإنس والجن بالرشد أيضا، ولكنه نفاه عن الكفار والمشركين؛ لأن الرشد يتنافى مع الكفر، ولو كانوا راشدين لقادهم رشدهم إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما أحوج البشرية في زماننا إلى رشد يقيها شر الكفر والظلم؛ لأن الرشد المبني على الإيمان محرك لطاقات الخير عند الناس.

رابعاً: يتجلى الرشد في أمور الدين وصلاح الآخرة كما يكون في أمور الدنيا وإصلاح شؤونها، ففي أمور الدين يكون الرشد بالهداية والاستقامة

والثبات على ذلك والتزامه، وفي أمور الدنيا يكون الرشد بحسن التصرف في المواقف المختلفة، كما يظهر في القدرة على الحفاظ على المال وتنميته في طرق الخير.

خامساً: التزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومتابعة طريق الحق وتعمد الخير يورث رشداً واستقامة صلبة راسخة على طريق الهدى والحق، وذلك ما أراده الله تعالى من وصفه للمؤمنين بالرشد دون الكافرين: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[١٤: الجن]، ولهذا أيضا وصف النبي ﷺ الخلفاء من بعده بالراشدين.

الهوامش:

---

(١) معنى التفسير الموضوعي: هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية. وقيل: هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة. انظر: مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٨٩م، ص١٥-١٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة- مصر، الدار الإسلامية للنشر، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٢، ص ٣٩٨.

(٣) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، بيروت– لبنان، دار المعرفة، (د.ت)، ص٣٦٩.

(٤) من أسماء الله تعالى الرشيد: والرشيد كما يذكر الرازى على وجهين أولهما أن الراشد الذي له الرشد ويرجع حاصلة إلى أنه حكيم ليس في أفعاله عبث ولا باطل، وثانيهما إرشاد الله يرجع إلى هدايته، والله سبحانه الرشيد المتصف بكمال الكمال عظيم الحكمة بالغ الرشاد وهو الذي يرشد الخلق ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم ورشادهم في الدنيا وفى الآخرة، لا يوجد سهو في تدبيره ولا تقديره، انظر: كتاب الاعتقاد ج١،ص ٦٦. والغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق د. محمد الخشت، القاهرة، مكتبة القرآن ط ١٩٨٤م، ج١، ص٦٥. وقال الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة: الرشيد: ذو الرشاد، والرشاد: موافقة الحق والصواب في جميع الأفعال، ومن ذلك نرى جميع أفعال الخالق موافقة لوجه الرشاد والحق. انظر: حبنكة، العقيدة الإسلامية، دمشق، دار القلم، ط ١١، ٢٠٠٢ م، ص ١٧٧.

(٥) قال الراغب: "الضلال؛ العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية" المفردات ص ٢٩٧.

(٦) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٧)، ج٢، ص٦١٠. والترمذي في السنن برقم (٢٦٧٦)، ج٥، ص٤٤.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ج٣، ص ٣٩٨.

(٨) الراغب، المفردات، ص١٩٦

(٩) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص ٣٩١، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبدالرزاق المهدي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج٢، ص٤٠١.

(١٠) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٢٣٧.

(١١) انظر: الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع، القاهرة، دار المنارة، ج٧، ص١٦٩-١٧٣. وابن رشد، الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ج٢، ص٢٧٥-٢٧٨. والمقدسي، ابن قدامة الحنبلي، المغني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٤٦٦-٤٦٧.

(١٢) انظر:الشربيني، الخطيب، مغني المحتاج شرح المنهاج، القاهرة، طبعة البابي الحلبي، ج٢، ص١٦٨-١٧٠. والشيرازي، إبراهيم بن علي، المهذب، بيروت، دار الفكر، ج١، ص٣٣١.

(١٣) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٣١.

(١٤) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية،ج٣، ص٢١٨. وانظر: الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق محمد الآمد

وعمر السلامي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٣، ص١٧٧.

(١٥) الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٣، ص١٦. ومثل ذلك قال النسفي في تفسيره، انظر: النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف بديوي ومحيي الدين ديب، بيروت – لبنان، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج٢، ص٣٧١.

(١٦) الشوكاني، محمد علي، فتح القدير، بيروت، دار إحياء التراث العربي(د. ت)، ج١، ص٤٧١.

(١٧) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٢٥.

(١٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١١.

(١٩) رواه مسلم في صحيحه، من حديث عدي بن حاتم ج١، ص ٤٧٧، برقم (٩٢٩).

(٢٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢١٠.

(٢١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١) ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٤٢.

(٢٢) الآلوسي، روح المعاني، ج٣، ص١٨.

(٢٣) الآلوسي، روح المعاني، ج١٥، ص٢٨٤.

(٢٤) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٥٩، وانظر: تفسير الرازي، ج١٥، ص٤٣٨.

(٢٥) الفراء، أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت– لبنان، دار السرور، طبعة، ١٩٥٥م، ج٣، ص١٩٣.

(٢٦) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٢٨.

(٢٧) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١١. وانظر: الآلوسي، روح المعاني، ج٢٩، ص٣١٧.

(٢٨) رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وذكره النووي في رياض الصالحين، ج١، ص٨٨٥.

(٢٩) انظر: السابق.

(٣٠) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ج ٢٤، ص٤٣٦.

(٣١) انظر: السابق

(٣٢) رواه مسلم في صحيحه ج٣، ص٤٤٤، برقم (١٨١٢).

(٣٣) انظر: الفراء، معاني القرآن، ج٢، ص٢١٦. وانظر: القونوي، إسماعيل بن محمد، حاشية على تفسير البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠١ م، ج ١٢، ص٥٣٥.

(٣٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٩٦. وانظر: الآلوسي، ج١٧، ص٧٧.

(٣٥) انظر:الطبري، جامع البيان، ج٩، ص٣٥. وتفسير البيضاوي ج١، ص٩٦. وتفسير البغوي، ج١، ص٣٢٢. وتفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٠٢، ٧٧٩. وحاشية القونوي على البيضاوي، ج١٢، ص٥٣٥. وتفسير الآلوسي، ج١٧، ص٧٧. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦، ص٢٧٢.

(٣٦) انظر: حاشية القونوي على البيضاوي، ج١٢، ص١٢٩.

(٣٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت- لبنان، دار الخير، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ج٣، ص٨٠-٨١.

(٣٨) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠١م، ج٦، ص١١٢. وانظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٩٩٩م، ج٤، ص١٨٤.

(٣٩) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٩٥-٣٩٦.

(٤٠) انظر: تفسير القرطبي، ج١٦، ص١٠١.

(٤١) وهذا الوجه الذي اختاره الرازي في تفسيره، انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٩، ص٤٥.

(٤٢) انظر: تفسير القرطبي، ج١٠، ص٢٣٣-٢٣٦، وانظر: تفسير الآلوسي، ج١٥، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٤٣) رواه أبو داود في السنن برقم (١٠٩٧)، ج١، ص٣٥٥. وبرقم (٢١١٩)، ج١، ص٦٤٥.

(٤٤) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، (ط١٨) ج٦، ص٣٧٣٢-٣٧٣٣.

(٤٥) انظر: لاوند، رمضان، الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، (ط٩) ١٩٨٢م، ص٥٧٦-٥٨٩.

(٤٦) ذكر الواحدي النيسابوري أنها نزلت في النضر بن الحارث وأبي جهل وغيرهما لما طلبوا نزول العذاب. انظر: النيسابوري، علي بن أحمد، أسباب النزول، القاهرة، دار الحديث، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص١٩٤- ١٩٥.

(٤٧) الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، عناية وتصحيح أوتو برتزل، بيروت، دار الكتاب العربي، (ط٣) ١٩٨٥م، ص١٤٤.

(٤٨) الداني، **التيسير**، ص١١٣.

(٤٩) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٥٠.

(٥٠) الراغب، المفردات، ص١٩٦.

(٥١) الحلبي، السمين، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، بيروت– لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ج٢، ص١٠٣.

(٥٢) أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٥٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص١١٦.

(٥٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٩٢.

(٥٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣، ص٤٩٨.

(٥٦) الراغب، المفردات، ص٣٦٩.

(٥٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١١، ص ٥٠٧

(٥٨) الراغب، المفردات، ص٢٣٤.

(٥٩) انظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، بيروت، دار الفكر، ج٢، ص٣٢٢-٣٢٤.

(٦٠) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤، ص٦٦٥

(٦١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٧٤.

(٦٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٠١.

(٦٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٧، ص ٢٢٩.

(٦٤) سبق تخريجه.

(٦٥) رواه مسلم في صحيحه، ج١، ص٤٧٢، برقم (٣١١).

(٦٦) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص٥٥٣. والواحدي، أسباب النزول، ص٣٩١-٣٩٢.

(٦٧) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، ج٤، ص١٢٦. والدارمي في السنن، ج١، ص٥٧.

(٦٨) رواه الترمذي في سننه، ج٥، ص٦٢٦، برقم (٣٧٠١). والحاكم في المستدرك، ج٣، ص١١٠.

(٦٩) رواه الترمذي في سننه، ج٥، ص٦٣٣، برقم (٣٧١٣). وأحمد في مسنده، ج، ص١١٨-١١٩.